ليس إلاك يا علي

أنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته لكافور، فقال يمدحه وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة (٩٦٣م):

[الخفيف]

مَـا لَـنَـا كُـلُّـنَـا جَـوٍ يَـا رَسُـولُ
أَنَـا أَهْـوَى وَقَـلْـبُـكَ الـمَـتْـبُـولُ[١]

كُـلَّـمَـا عَـادَ مَـنْ بَـعَـثْـتُ إِلَـيْـهَـا
غَـارَ مِـنِّـي وَخَـانَ فِـي مَـا يَـقُـولُ[٢]

أَفْـسَـدَتْ بَـيْـنَـنَـا الأَمَـانَـاتِ عَـيْـنَـا
هَـا، وَخَـانَـتْ قُـلُـوبَـهُـنَّ الْـعُـقُـولُ[٣]

تَـشْـتَـكِـي مَـا اشْـتَـكَـيْـتُ مِـنْ أَلَـمِ الـشَّـوْ
قِ إِلَـيْـهَـا وَالـشَّـوْقُ حَـيْـثُ الـنُّـحُـولُ[٤]

= عمادها السلب والاغتصاب والدهاء والمكر، وإن لم يستطع لجأ إلى السؤال، وفي هذه الحالة قد لا يُحصل شيئاً ذا خطر؛ لذا يتمنّى كلّ طالب حاجة أن يكون قادراً على تحقيقها، لذا فهو يستأسد ليُرهب الضعفاء فيستأثر بما لديهم بشتّى الوسائل المشروعة وغير المشروعة منها.

(١) يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. الجوي: المحروق القلب من شدة الحزن أو الحبّ. المتبول: الهائم من الحبّ والمتيّم. يخاطب الشاعر الوسيط بينه وبين حبيبته، وقد شكّ بأنه يعشق حبيبته أيضاً، ممّا يُوحي بأن حبيبته على قسط كبير من الجمال بحيث تستهوي الشاعر والرسول.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٤. إنها مزاحمة على قلب فاتنة حسناء، والرسول وسيط بين الشاعر وحبيبته، فإذا به يخون أمانة النقل، وقلبه تأكله الغيرة، فيُغيّر الكلم عن مواضعه ويزيّد القول لطرفي المشكلة، ممَّا يزيدهما انشقاقاً وخلافاً.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. سبب تغيّر الرسول في تأدية الرسالة بصدق وأمانة عينا حبيبته الساحرتان، فإذا ما نظر إليهما الرسول نسي أو تناسى ما يحمله من رسالة بين الشاعر وحبيبته، فإذا به يُحرّف ويُعدّل من الرسالة ما يتناسب مع هدفه من الزيارة.

(٤) يروى «من طرب الشوق» بدلاً من «ألم الشوق». الطرب: حالة تعتري المرء جرّاء =

وَإِذَا خَامَرَ ٱلْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ،
فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ[١]

زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَا دَا
مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ[٢]

وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِي هٰذِهِ الدُّنـ
ـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ[٣]

مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَهُ الْقُطَّـ
ـنُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ ٱلْحُمُولُ[٤]

إِنْ تَرَيْنِي أَدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ
فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ[٥]

= الفرح أو الحزن. إنها مكاشفة واتّهام، وبنظرة فاحصة كشفت حُجُب سرّ الرسول، إن ما به من نحول ووجوم يُعاني مثله الشاعر، فالشكّ في محلّه، فكانت مصارحة، وسكوت من جانب الرسول يُؤكّد شكّ الشاعر، إنها هفوة لا يُمكن إصلاحها.

(١) خامر: داخل. الهوى: الحبّ، الصبّ: العاشق. يُردف الشاعر تفسيراً لما وصل إلى معرفته من حال رسوله، مفاده أن دلائل الحبّ الذي يغزو قلب المرء تكشفها نظراته وشرود فكره ونحول جسده ونبرات صوته.

(٢) و (٣) يُخاطب الشاعر حبيبته طالباً منها أن تُرفده بزاد، فلا تبخل عليه بإطلالة وجهها المشرق الجميل، فما دام نضيراً جميلاً، فإنه متعة الأنظار يحلو لها أن تتمتّع بجمال صنعة الخالق العظيم، فالشباب مرحلة سرعان ما يذوي الجمال مع تقدّم العمر، وقد تحلّ محله البشاعة؛ فالصلة واللقاء بين الأحبة في هذا الوجود سبب استمرار الحياة، وبإحساس ممضٍّ أليم ينطق الشاعر بحقيقة لا زيف فيها، أن البقاء على وجه الأرض قليل لبني البشر، فالحياة فرصة ليتمتّع الأحباب ببعضهم.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٦. يقصد بعينها أي بعين الدنيا. القطّان: السكّان. الحمول: المرتحلون. ما يثير الحزن في النفوس أن حقيقة هذا الوجود إلى زوال، فمن اعتقد هذه النظرية وآمن بها نظر إلى أحبائه وأصدقائه نظرة المودع، والمرء لا يعرف أياً يكون المودّع أو أياً يكون المرتحل، وفي كلا الحالين فالشوق والحرمان يجمع بينهما.

(٥) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. أدم: =

صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَلَاةِ فَتَاةٌ
عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ (١)
سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلٰكِنْ
بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ (٢)
مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحَتْنِي وَأَسْقَمْـ
ـتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ (٣)
نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ
أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ (٤)
وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ
وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ (٥)

= شحب لونه ومال إلى السواد. القناة: عود الرمح. الذبول: التلاشي. يُخاطب الشاعر محبوبته معلّلاً تغيّر حاله بعد شباب غضٍّ وقوّة بأن سمرته قد اكتسبها من كثرة تجواله وتنقله بين ممدوحيه في سبيل طلب الرزق والمعالي، فضلاً عن شيب حلّ محل شعر أسود، فما ترينه يُخمد فيه لأنه خميرة العمر تماماً كقناة ذابلة ولكنها اكتسبت قوّة وصلابة مع امتداد العمر.

(١) الفلاة: المفازة والصحراء. يُعلّل الشاعر أسباب سمرته إنه دائم الألفة والصحبة لفتاة لا تهرم مع الزمن؛ إنها الشمس في عُذريتها وتجدّدها الدائم، تبدّل الموجودات وسائر الوجود، وتبقى حسناء وتُحيل الألوان، فتبدو مع مرور الزمن كاسفة الألوان كأنها حزينة على ما ضاع منها.

(٢) الحجال، الواحدة حجلة: الستور. اللمى: سمرة في الشّفة. يُخاطب الشاعر حبيبته لقد ابتعدت عن ملاقاة الشمس واختبأت بين أستار، فلا ترى الشمس إلّا نادراً، فكان أن تركت على شفتها السفلى سمرة جذّابة حلوة، فكأن الشمس قبّلتها وتركت أثرها عليها.

(٣) لوّحتني: غيّرت لوني. أسقمتِ: جعلتني مريضاً. أبهاكما: جمالكما. العطبول: الطويلة السمينة من النسوة. يُخاطب الشاعر محبوبته بأنها شبيهة بالشمس، فالشمس آذته فأبدلت بياض وجهه سمرة بحرارتها ووهجها اللّاهب، أما محبوبته فكانت أشدّ ضرراً، فغزا المرض جسده، وما أدّى إلى نحوله لشدّة حرمانه ومعاناته إنها المرأة الطويلة المكتملة الأنوثة الصارخة، إنها المحبوبة.

(٤) و (٥) علّل: ألهى. يتحدّث الشاعر بلسان الجماعة للتفخيم، أنه على علم بطول =

لَا أقَــمْــنَــا عَــلَــى مَــكَــانٍ وَإِنْ طَــا
بَ وَلَا يُــمْــكِــنُ الــمَــكَــانَ الــرَّحِــيــلُ (١)
كُــلَّــمَــا رَحَّــبَــتْ بِــنَــا الــرَّوْضُ قُــلْــنَــا
حَــلَــبٌ قَــصْــدُنَــا وَأَنْــتِ الــسَّــبِــيــلُ (٢)
فِــيــكِ مَــرْعَــى جِــيَــادِنَــا وَالــمَــطَــايَــا
وَإِلَــيْــهَــا وَجِــيــفُــنَــا وَالــذَّمِــيــلُ (٣)
وَالــمُــسَــمَّــوْنَ بِــالْأَمِــيــرِ كَــثِــيــرٌ
وَالْأَمِــيــرُ الَّــذِي بِــهَــا الــمَــأْمُــولُ (٤)
الَّــذِي زُلْــتُ عَــنْــهُ شَــرْقــاً وَغَــرْبــاً
وَنَــدَاهُ مُــقَــابِــلِــي مَــا يَــزُولُ (٥)

= الطريق التي تفصله عن الممدوح، ومع ذلك يسأل عن طول الطريق استئناساً، وحبًّا بمن سيلقاه، وهو يودّ لو يطير إليه بأسرع وقت ممكن، وفي السؤال دلالة الحبّ والشوق، فإذا تلقّى المرء الجواب المرجوّ الشافي أحسّ طمأنينة، فسرّى ذلك عن نفسه، فإذا بالطريق تنطوي، والمسافات تقترب.

(١) يتكلّم الشاعر بلسان نون الجماعة، يقرّر أنه لا يُطيل بقاءه في مكان واحد ولو أعجبه، فمقصده بعيد عن ذلك المكان، فلا عودة إليه ولا لقاء به، والمكان لا يرحل مصاحباً للشاعر. وتلك حقيقة أن الزمان والمكان إذا خلا منهما المرء لا يرجعان أبداً.

(٢) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٤. الروض، الواحدة روضة: الأرض تُغطيها أشجار وزهر. الطريق طويل، وثمّة محطات تُؤدي كلها إلى حلب عاصمة سيف الدولة ممدوح الشاعر. ينزل الركب في تلك المحطّات لأخذ قسط من الراحة، فيجد ما يسرّ ويُريح النفس، ويدعو إلى الاستقرار في تلك الأمكنة، ويكون الإغراء قوياً، ولكن وجهة سير الشاعر هي الأهم.

(٣) يُخاطب الشاعر تلك الأمكنة بأنها أفضل مرعى للخيل والجمال في طريقه إلى مدينة حلب التي يستعين بالخيول تنهب الأرض بوجيفها، والجمال بسرعتها للوصول إليها بلا توقّف.

(٤) و (٥) يعرّض الشاعر بالأمراء، وهم كثر، ولكن واحداً منهم في حلب هو المرتجى لجوده وشجاعته وأصالة نسبه، ورغم رحيل المتنبي يضرب في جنبات الأرض، بشرقها وغربها، فقد كانت عطايا الأمير تأتيه تترى رغم انقطاعه عنه.

وَمَـعِـي أَيْـنَـمـا سَـلَـكْـتُ كـأَنِّـي
كُـلُّ وَجْـهٍ لَـهُ بِـوَجْـهِـي كَـفِـيـلُ (١)
وَإِذَا الْـعَـذْلُ فِـي الـنَّـدَى زَارَ سَـمْـعـاً
فَـفَـدَاهُ الْـعَـذُولُ وَالْـمَـعْـذُولُ (٢)
وَمَـوَالٍ تُـحْـيَـيـهِـم مِـنْ يَـدَيْـهِ
نِـعَـمٌ غَـيْـرُهُـمْ بِـهَـا مَـقْـتُـولُ (٣)
فَـرَسٌ سَـابِـحٌ وَرُمْـحٌ طَـوِيـلٌ
وَدِلَاصٌ زَغْـفٌ وَسَـيْـفٌ صَـقِـيـلُ (٤)
كُـلَّـمَـا صَـبَّـحَـتْ دِيَـارَ عَـدُوٍّ
قَـالَ تِـلْـكَ الْـغُـيُـوثُ هٰـذِي الـسُّـيُـولُ (٥)
دَهِـمَـتْـهُ تُـطَـايِـرُ الـزَّرَدَ الْـمُـحْـ
ـكَـمَ عَـنْـهُ كَـمَـا يَـطِـيـرُ الـنَّـسِـيـلُ (٦)

(١) سلك الطريق: مشى فيها. الكفيل: الضامن. يذكر الشاعر أن إحسان الأمير إليه يتبعه حيثما توجّه، فما من طريق سلكه إلّا وجد فيه من ندى الأمير مالاً ومتاعاً.

(٢) العذل: الملامة. يُندّد الشاعر بمن يلوم في الجود والإكثار منه ومن عمل برأي اللائم، والأمير لا يُصغي لأمثال تلك النصائح، فلا يهتمّ بالنصيحة ولا بقائلها، إنهما فداء له.

(٣) و (٤) الموالي: العبيد والأولياء. يذكر الشاعر أن موالي الأمير ينعمون بعطاياه ورفده منها: الفرس السريع العدو وكأنه يسبح في جريه، والرمح الطويل، والدلاص من الدروع البرّاقة الملساء اللينة المتقنة النسج والسيوف البتَّارة الصقيلة، فيستعين هؤلاء بها لقتال أعدائه بها فيقتلونهم.

(٥) الغيوث، الواحد غيث: الأمطار. يتحدّث الشاعر عن دور موالي الأمير، فشأنهم الدائم الغارات على الأعداء يُصبحونهم بها نهباً وقتلاً ودماراً، فإذا بالأمير يستبشر بالغنى، إنه غيث عميم سببه هؤلاء الموالي.

(٦) دهمته: فاجأته. الزرد: حلق الدرع. المحكم: المتقن الصنعة. النسيل: ما يقع من نسج الثوب وسواه. يصف الشاعر أفعال الموالي في أعدائهم، إنهم يبطشون بهم بعنف، فيكون منهم قتلى وضرب ينثر أشلاءهم ويقطع دروعهم فلا تردّ عنهم أذًى، فإذا بها كأنها ريش يتطاير أو نتف ثوب يُمزّق بقوّة وتتناثر أجزاؤه.

تَـقْـنِـصُ ٱلْـخَـيْـلَ خَـيْـلُـهُ قُـنْـصَ الْـوَحْـ
ـشِ وَيَـسْـتَـأْسِـرُ ٱلْـخَـمِـيـسَ الـرَّعِـيـلُ (١)

وَإِذَا ٱلْـحَـرْبُ أَعْـرَضَـتْ زَعَـمَ ٱلْـهَـوْ
لُ لِـعَـيْـنَـيْـهِ أَنَّـهُ تَـهْـوِيـلُ (٢)

وَإِذَا صَـحَّ فَـالـزَّمَـانُ صَـحِـيـحٌ
وَإِذَا ٱعْـتَـلَّ فَـالـزَّمَـانُ عَـلِـيـلُ (٣)

وَإِذَا غَـابَ وَجْـهُـهُ عَـنْ مَـكَـانٍ
فَـبِـهِ مِـنْ ثَـنَـاهُ وَجْـهٌ جَـمِـيـلُ (٤)

لَـيْـسَ إِلَّاكَ يَـا عَـلِـيُّ هُـمَـامٌ
سَـيْـفُـهُ دُونَ عِـرْضِـهِ مَـسْـلُـولُ (٥)

---

(١) قنص: اصطاد. يستأسر: يأسر. الخميس: الجيش العظيم المؤلف من فرق خمس. الرعيل: القطعة من الخيل. يُنوّه الشاعر بحسن حظّ الأمير، فخيوله تصطاد خيول جيوش أعدائه كأنها وحوش ضارية ويقع فرسانها أسرى بأيدي فرسان الأمير، لذا فالرعيل من جنده يأسر خميساً عظيماً بأفراده ومعداته.

(٢) أعرضت: قامت. الهول: الخوف. التهويل: الإرعاب، يُشيد الشاعر بشجاعة الأمير وصبره وتفاؤله وثقته بانتصاره في حروبه، لذا فإذا كانت الحرب استبشر بالنصر، رغم ما يبدو منها من قسوة وهول ورعب، فإنه يخوضها دون خوف مستبشراً بالنصر، فيكون له ما أراد.

(٣) اعتل: مرض. يُنوّه الشاعر بأن الزمان طوع إرادة الأمير وذلك من حسن حظّه، فحالما تصحّ إرادة سيف الدولة، فالزمان عون لها، وإذا تغيّر الأمير فلا بدّ من تغيّر حال الزمان؛ فإنه طوع إرادته في كلّ حال.

(٤) الثناء: المدح والصيت الحسن. إنه الصيت الحسن فحيثما رحل الأمير حلّ الثناء الحسن، وبقيت أطيافه تنشر عبير رزقه وفضله في المكان الراحل عنه؛ فالناس يلهجون بحمده ويُشيدون بمزاياه وأخلاقه.

(٥) الهمام: الملك العظيم ذو الهمّة العالية. يُخاطب الشاعر الأمير؛ إنه عليّ ذلك الملك الذي يحمي بسيفه عرضه ويصون مملكته دون سائر الملوك الذين يتّخذون من يحميهم من جند مرتزقة، فهؤلاء جبناء لا يستحقّون مراكزهم، وعليّ شجاع يحتلّ مركزه بجدارة.

كَـيْـفَ لَا تَـأْمَـنُ الْـعِـرَاقُ وَمِـصْـرٌ
وَسَـرَايَـاكَ دُونَـهَـا وَٱلْـخُـيُـولُ؟(١)
لَـوْ تَـحَـرَّفْـتَ عَـنْ طَـرِيـقِ ٱلْأَعَـادِي
رَبَـطَ الـسِّـدْرُ خَـيْـلَـهُـمْ وَالـنَّـخِـيـلُ(٢)
وَدَرَى مَـنْ أَعَـزَّهُ الـدَّفْـعُ عَـنْـهُ
فِـيـهِـمَـا أَنَّـهُ الْـحَـقِـيـرُ الـذَّلِـيـلُ(٣)
أَنْـتَ طُـولَ الـحَـيَـاةِ لِـلـرُّوم غَـازٍ
فَـمَـتَـى الـوَعْـدُ أَنْ يَـكُـونَ الـقُـفُـولُ(٤)
وَسِـوَى الـرُّوم خَـلْـفَ ظَـهْـرِكَ رُومٌ
فَـعَـلَـى أَيِّ جَـانِـبَـيْـكَ تَـمِـيـلُ(٥)
قَـعَـدَ الـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمْ عَـنْ مَـسَـاعِـيـكَ وَقَـامَـت بِـهَـا الْـقَـنَـا وَالـنُّـصُـولُ(٦)

(١) السرايا، الواحدة سرية: الفرقة من الجيش. إنه الحامي الحقيقي لبلاد العراق ومصر، فكيف لا يطمئن أهلهما من غدر الروم وفيهم بطل يعمل سيفه وجيشه يحمي الأعراض والأرض.

(٢) و (٣) تحرّف: مال. السدر: شجر النبق. يفترض الشاعر لو أن الأمير تخلّى عن غزوه بلاد الروم لانقضَّ هؤلاء على ديار الإسلام وربطوا خيولهم في شجر السدر والنخيل، وهو يغمز من قناة أمراء وملوك تلك النواحي وتخاذلهم وجبنهم؛ فهم لا يتحرّكون على الأقلّ للدفاع عن أنفسهم، ولولا وجود الأمير لذاق هؤلاء الذلّ بألوانه وأشكاله، سواء أكانوا في مصر أم في العراق؟

(٤) يُخاطب الشاعر الأمير بأنه مستمرّ بغزوّ الروم، فلا يعود من غزاتهم حتى يرجع يغزوهم من جديد، فمتى يكون الرجوع؟ ومن حاله كذلك فقفوله يعني الموت بالنسبة إليه.

(٥) يلفت الشاعر نظر الأمير إلى أنه محاط بالأعداء من كلّ جانب، فالروم أعداء الدين والأرض في بلادهم، وفي بلاد العرب هناك بنو بويه المستأثرون بالحكم والتسلّط على العباد، وهم شرّ من الروم في جورهم وظلمهم، فيسأل الأمير إلى أيهم توجّه سيفك؟

(٦) المساعي، الواحدة مسعاة. النصول، الواحد نصل: حدّ السيف. يُشيد الشاعر =

مَـا الَّـذِي عِـنْـدَهُ تُـدَارُ الـمَـنَـايَـا
كَـالَّـذِي عِـنْـدَهُ تُـدَارُ الـشَّـمُـولُ(١)
لَـسْـتُ أَرْضَـى بِـأَنْ تَـكُـونَ جَـوَاداً
وَزَمَـانِـي بِـأَنْ أَرَاكَ بَـخِـيـلُ(٢)
نَـغَّـصَ الْـبُـعْـدُ عَـنْـكَ قُـرْبَ الْـعَـطَـايَـا
مَـرْتَـعِـي مُـخْـصِـبٌ وَجِـسْـمِـي هَـزِيـلُ(٣)
إِنْ تَـبَـوَّأْتُ غَـيْـرَ دُنْـيَـايَ دَاراً
وَأَتَـانِـي نَـيْـلٌ فَـأَنْـتَ الْـمُـنِـيـلُ(٤)
مِـنْ عَـبِـيـدِي إِنْ عِـشْـتَ لِـي أَلْـفُ كَـافُـو
رٍ وَلِـي مِـنْ نَـدَاكَ رِيـفٌ ونِـيـلُ(٥)

= بأعمال الأمير البطولية، بينما سواه من الملوك والأمراء لا يهمه سوى نفسه وتسلّطه على رعيته، وفي هذا الجوّ المحموم هناك من يقوم بأعباء الدفاع عن الأرض والعرض، إنه سيف الدولة.

(١) المنايا، الواحدة منيّة. الشمول: من أسماء الخمرة. إنها مناقضة متعارضة، يُشنّع الشاعر على الحكام الذين يهدرون أعمارهم في المسرات وتناول الخمرة، ويمدح من يضطلع بأعباء الدفاع عن الأرض والعرض، ويقدم الشهداء ويكيد الأعداء في سوق المنايا.

(٢) يُقرّ الشاعر بأنه لن يقف مكتوف الأيدي، فجود الأمير يتوالى في كلّ ظرف وحالة؛ لذا فلن يتوانى عن الإسراع والمثول بين يديه ولن يكون بخيلاً أو سليباً لقاء كلّ ذلك الإكرام.

(٣) المرتع: المرعى. نغّص العيش: كدّره، الهزيل: النحيل. يُقرّ الشاعر أن جود الأمير جعله يعيش في بحبوحة من العيش يرتع فيها كما يحلو له، ومع ذلك فإنه هزيل، ينقصه شيء واحد رؤية وجه الأمير وسوف يمثل بين يديه عاجلاً.

(٤) تبوّأ: اعتلى ونزل. النيل: العطاء. المنيل: المعطي والواهب. ومن مغالاة الشاعر أن عطايا الأمير تُلاحقه حيثما ارتحل، حتى ولو ارتحل إلى عالم آخر غير الأرض لأتاه من رفد الأمير العطايا، وبلا شكّ سيكون هو المرفد.

(٥) يندّد الشاعر بكافور ويُنوّه بكرم الأمير، فلو قُدّر له أن يعيش طويلاً لاستملك ألف عبد على شاكلة كافور، ذلك العبد الذي أذاق الشاعر آلاماً وعذابات، ولحصل على عوض ما أمله من نيل مصر وريفها من فيض كرم الأمير.

مَـــا أُبَـــالِـــي إِذَا اتَّـــقَـــتْـــكَ الـــرَّزَايَـــا
مَـــنْ دَهَـــتْـــهُ حُـــبُـــولُـــهَـــا وَٱلْـــخُـــبُـــولُ[١]

لا خيل عندك تهديها..

قدم أبو شجاع فاتك المعروف بالمجنون من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار فقال يمدحه:

[البسيط]

لا خَـيْـلَ عِـنْـدَكَ تُـهْـدِيـهَـا وَلَا مـالُ
فَـلْـيُـسْـعِـدِ الـنُّـطْـقُ إِنْ لَـمْ تُـسْـعِـدِ الْـحَـالُ[٢]
وَاجْـزِ الأَمِـيـرَ الَّـذِي نُـعْـمَـاهُ فَـاجِـئَـةٌ
بِـغَـيْـرِ قَـوْلٍ وَنُـعْـمَـى الـنـاسِ أَقْـوَالُ[٣]
فَـرُبَّـمَـا جَـزَتِ الإِحْـسَـانَ مُـولِـيَـهُ
خَـرِيـدَةٌ مِـنْ عَـذَارَى ٱلْـحَـيِّ مِـكْـسَـالُ[٤]

---

(١) اتَّقى: تجنّب. الرزايا، الواحدة رزية: المصائب والويلات. الحبول، الواحد حِبل: الواهي. الخبول، الواحد خبل: فساد العقل. يُقرّ الشاعر أنه لن يهتم لأحد سوى للأمير ويتمنّى له ألّا يُصيبه مكروه وأن تجنّبه المصائب، فهو أمله في هذه الحياة لأنه مصدر خير عميم.

(٢) ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ٢: ٢٥٤. الإسعاد: المساعدة. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع وجداني وحوار ذاتي، إنه لا يملك مالاً ولا خيلاً يُقدّمها إلى من أسدى إليه عملاً جليلاً، والبديل قصيدة عنوان شكر وحبّ وتقدير.

(٣) النعمى: مدّ يد العون والصنيعة. إنه جزاء معنوي على ما تقدّم من إحسان ومدّ يد عون لامرئ في ديار غربة، فكان على الشاعر أن يُعبّر عن جميل شكره بقصيدة لمن لم يطلب بديلاً، ولم يستعن به لدفع مكروه؛ ومعظم الناس مآثرهم أقوال تخلو بلا أفعال، وكأنه يغمز من قناة كافور، إنه كثير الوعد مخلاف.

(٤) يروى «جزى» بدلاً من «جزت» جازى: كافأ، أولى: أعطى. الخريدة: الحسناء الحييّة. المكسال، من النسوة: الفاترة في حركتها. يُردف الشاعر متمًّا ما بدأ به أن مكافأة المحسن على إحسانه قصيدة بمثابة شابة حسناء حييّة فاترة العينين يُغالبها النعاس، فهذا أقلّ ما يمكن الشاعر أن يُقدّمه لممدوحه في حالة كهذه.